الفصل الثانى

من اجل مصر

www.anwarsadat.org

1

يظن الكثيرون من الناس أن ثورة يوليو سنة 1952 دبر لها تشكيل الضباط إثر حادث معين جمعهم على هدف وتدبير. وفى أجواء الظنون.. تجد الإشاعات كثيرا من نقط الارتكاز.. تجد النقطة الأولى فى حرب فلسطين لن أشلاء الضحايا وخيانات الملك فاروق وعصابته .

تجد النقطة الثانية فى تحقيقات الأسلحة الفاسدة وتدخل الملك لتحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته .

تجد النقطة الثالثة فى تصرفات قيادة الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا أنفسهم فى أحذية فاروق .
ولقد كانت كل هذه الأحداث فعلا من الأحداث التى شغلت اهتمام الضباط الأحرار، واستحثت خطاهم ولكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من هذه الأحداث .

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لأنها كانت فى كل مراحلها تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر، وضمير شعب مصر .

www.anwarsadat.org

26 وصيتى

متى نشأت إذن.. وأين نشأت!!

لنرجع إلى الوراء، إلى عام 1938.. ولنذهب إلى منقباد ، هذه البيئة المصرية الخالصة التى يشعر فيها المصرى بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه .

فى الشتاء حين يقسو الجو، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الأصدقاء يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على هواء الرياح .. هناك حول النار فى معسكر المناورات بتبات الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة.. أصدقاء كلهم صغار السن. صغار المناصب، كبار الآمال، ضباط لم تزد رتبة أحدنا عن الملازم ثان، نتحرق طوال النهار فى الجبل، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب التى لم تكن لتنطفئ لأن وقودها كان يتجدد فى كل لحظة من أحاسيسنا الشابة المرهفة، ومما يقع أمام أعيننا كل يوم من الصباح إلى المساء .

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الأحداث فقد كنا ضباطا صغارا وكان لنا قواد . . وكان هناك أيضا الإنجليز .. وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم إلا إذلالنا ، والانحناء أمام الإنجليز.. وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنحترق ونسخط.. ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم.. وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى وفى تلك الأوضاع الرهيبة إلا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى أحشائه .

2

هكذا كانت أيامنا ، لكن لياليا كانت تختلف اختلافا كبيراً.. ففى جو من الصداقة والألفة ، كنا نجلس فنمرح ، ونذيب فى هذا المرح شقاء اليوم الطويل، شقاء الجسد وشقاء النفس، شقاء الغربة فى جبل بعيد. لكن وإن كنا قد أخذنا حياة قوادنا الكبار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئاً . . وبدأنا نيأس من خدمة الجيش، وأعد بعضنا استقالته فعلا من الجيش الذى أصبح يشتغل بأى عمل سوى حماية الوطن وطرد المستعمر.

ولعل السبب فى أن هذا البعض لم يصل فى موضوع الاستقالة إلى نهاية المطاف أن الصلات كانت قد اشتدت بين كل منا، وبين المجموعة الكاملة.. حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الكل، وأصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة وأصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا، لأن كل عمل يأتيه أى فرد منا سينسب إلى الجماعة شاءت أم لم تشأ، علمت بالأمر أم لم تعلم .

28وصيتى

وإنى لأذكر تلك الأيام والليالى، أذكر مرحنا وآلامنا و صداقتنا الجميلة الأولى وقوادنا المصريين الذين أرادوا أن يذلوا رقابنا، كما ذاقو الذل على أيدى صغار الإنجليز.. أذكر كل هذا.. وأذكر أننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب، بدأنا نفكر ذات ليلة.

تركز تفكيرنا كلنا فى الإنجليز.. أنهم أصل البلاء فى البلاد.. وكانت هذه القضية التى لا يشعر بها شبابنا الآن بحكم عدم معاصرتهم لها- كانت مفتاح تفكير طويل لم

يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة . كنا جميعا نكره الإنجليز الـذين نظـروا إلـى الإنسان المصرى على أنه كائن متخلف لا يصح أن يحصل على استقلاله وحريته .

ومن أجل القضاء على هذه الفكرة ومثلها من الأفكار التى حكمـت علـى مصـر بالموت بدأنا نجمع حولنا أنصارنا لفكرة الحياة، كل منا يختبر عـددا مـن الضـباط الآخرين، ويكون فى محيطه خلية صغيرة يثير فيها هـذه الفكـرة، ويـرى مـدى استعدادها للعمل يوم يأتى وقت العمل.. وبدأنا نخطو الخطوة الأولى فنحسـب لهـا حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل إلقائها مرتين . بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشـباب ونحل فيها الشعور بالمسئولية .

وجـاء الـدرس الأول الـذى أفدنـاه بعـد ذلك فأصبـح

حياتنا.. فقد مرت أيام قليلة كنا فيها لا نزال فى فترة تكويننا الأولى، وإذا بالشىء الذى نسيناه جميعا يقع وكنا خليقين بتوقعه، فان ضابط الجيش لا يستقر فى مكان واحد طويلا وإن هى إلا لحظة مفاجئة، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا، واحد فى الإسكندرية والثانى فى طنطا والثالث فى القاهرة، والرابع فى مرسى مطروح...

افترقنا وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت والأعصاب توترت، ولكن الحلم لم يذب والفرقة لم تستطيع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى أقسى الظروف التى حلت بها وفهمنا مع الأيام هذا الدرس، وهو آن الصداقة القوية عندما تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز أيضا حول فكرة فإنها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الأصدقاء، بل هى اكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات، فكنا إذ نفترق لا تفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة، كل ما كان هناك أن أحدنا كان يجد الفرصة للعمل فيعمل، يعمل مستقلا بإرادته فى ظاهر الأمر ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بإرادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة وعهدها المقدس.

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الأوقات كما اختفى اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين بين ديسمبر 1939 وديسمبر 1941 إذ كان فى هذه الفترة قد نقل إلى السودان .

30وصيتى

وظللت أنا فى نواة التنظيم أبلورها بقدر طاقتى حتى طردت من الجيش وأودعت سجن الأجانب ابتداء من أغسطس 1942.. بعدها تراوحت حياتى بين المعتقلات والسجون والتشريد والهروب والمطاردة والاشتغال بالأعمال الحرة إلى أن عدت إلى الجيش فى عام 1950 وأنضممت إلى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار فى عام

1951، وكان جمال عبد الناصر قد تولى فى غيابى قيادة التنظيم بكل شعبه وخلاياه السرية .

www.anwarsadat.org

3

بدأ التمهيد للثورة مراحله الحاسمة عندما قرر الضباط الأحـرار تغييـر حالـة الجيش الأليمة غير المشجعة... فلم يكن لضـباط الجـيش إذ ذاك اى رأى عـام... والسخط لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة عملية، ما لم يصـبح سـخطا عامـا محـدد الأسباب.. دافعا إلى التكتل والعمل من خلال خطة مدروسة ترتب النتائج المتوقعـة قياسا على الأسباب الموضوعية... لذلك كانت حتميـة لا مهـرب منهـا أن تخلـق المجموعة الثائرة رأيا عاما بين ضباط الجيش حتى يستطيع هذا الـرأى العـام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد بصورة منظمة منسقة .

كانت المشكلة الأولى التى تواجه الضباط الأحرار أن مجهوداتهم كانت محـدودة لأنهم كانوا يعملون اعتمادا على أنفسهم وليس بناء على رأى عام موحـد وموجـه بين الضباط، ولذلك كانت أعمالهم فردية أو شبه فردية... أما المشكلة الثانية فهـى انعزال الجيش عن الشعب وتسخيره دائماً ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد...

32وصيتى

كان الشعب فى ذلك الوقت يتحمل عبء الثورة والتضحية الجسيمة والاستشـهاد برصاص السلطات المصرية والبريطانية على حد سواء... لذلك كان أهم بنـد فـى التخطيط للثورة أن يطمئن الشعب إلى جانب الجيش ، وأن يدرك أن هـذا الجـيش معه ، لا عليه ، وعلى الأقل أن يدرك أن هذا الجيش ، إن لم يستطع أن يكون معـه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته . استقرت جماعـة الضـباط الأحرار على تخطيط علمى مدروس،

بدأت فى تنفيذه على الوجه التالى:

1 ــ خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش

2 ــ أشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين، لا تقل عــن مســئولية أفــراد الشعب العاديين .

3 ــ وضع تخطيط تدريجى لبث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصــبح مــن الممكن توجيههم إلى أن يكون للجيش نفسه دور فى عمليــة إنقــاذ الــبلاد ، أو أن يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الحاكمة العميلة، بحيث لا يشترك فى تسديد الضربات إلى الشعب إذا تقدم أحد لحمل تبعة الإنقاذ .

أما الهدف البعيد الرئيسى الذى لم يغب عن أعين منفــذى ، التخطــيط حتــى لا يدخلوا فى متاهات جانبية ، فقد كان الوصول بأية خطة من الخطط المحكمــة إلــى تغييــر النظــام الملكــى القــائــم فــــى البــــلاد ، وهــــو النظــــام الــــذى تجسد فيــــه تحــالف الإقطاع مع

www.anwarsadat.org

الاستعمار مع رأس المال الأجنبى من أجل استغلال خيرات مصر وإهدار كرامتهـــا، وكانت النتيجة أن فقد الإنسان المصرى إحساسه بالانتماء إلى وطنه..

والإحساس بالاغتراب هين إذا لم يفقد الإنسان الأمل فى العودة إلى موطنه، ولكن ما الحال إذا كان الإنسان منفيا داخل وطنه ! !

هكذا كان حال الإنسان المصرى تحت ضغوط الملكية والاستعمار والإقطاع ورأس المال الأجنبى.. ومن أجل هذا الإنسان لم يأل الضباط الأحرار جهدا من أجل تنفيـــذ خطتهم لإنقاذه .

كانت أولى خصائص تلك الخطة هى نبذ السرية نبذأ تاما فى المراحل المبكرة من مراحل الدعوة، لان السرية توحى بالتآمر وتنذر بالخطورة ولا تســـتطيع أن تجمـــع الأنصار بسهولة إذ أن عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الأمر.. آما فى جـــو العلنية الصريحة فيمكن تكوين الصداقات وتعزيزها، واختيار الأشخاص الذين يبـــدو إخلاصهم وقدرتهم على العمل دون إثارة لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فـــى الأوساط الحاكمـــــة.. علـــى هـــــذا الأساس قامت جماعة الضباط الأحرار بين

جماعات الأصدقاء فى الجيش بإثارة المناقشات العلنية فى جميع مشكلات الدولة السياسية والاجتماعية.. والاقتصادية الداخلية والخارجية.. وبالفعل انتشرت المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة ، وبدأت تسمع نفس المناقشات فى أماكن متفرقة، وبدأت ترى الضباط يلتقون فإذا هم متفقون فى السخط ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من أجل إنقاذ الوطن والوفاء بحاجاته.. معنى هذا أن الرأى العام قد بدأ يتكون ، وان عقبة كبيرة من عقبات الطريق قد بدأت فى الزوال .

بعد ذلك كان لابد من التوجيه لأن هذا السخط عندما ينمو، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، إذا لم يصحبه توجيه سديد يعرف جيدا الخطوة التى تؤدى إلى الخطوة التالية وهكذا .

فمن المحتمل بل من المتوقع أن تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر، وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء.. وإذ بالساخطين ينفجرون فرادى.. أو ينفجرون دون وعى فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها... خاصة أنه من الممكن لبعض الهيئات أو الجماعات إذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش أن تحاول ضمهم أليها بصورة أو بأخرى. عندئذ تفلت من الجيش قيادته إلى أيد قد لا تحسن التوجيه.. لذلك قررت جماعة الضباط الأحرار تطوير المخطط الثورى حتى يتلاءم مع الظروف الجديدة .

تطور المخطط بحيث تتفق جماعة الضباط الأحرار على أساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهرياً من عوامل النجاح :

أولا: العمل على ألا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى ودون خطة حكيمة مدروسة .

ثانيا: العمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فلا يرتبطون كأفراد أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش، لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس.. وكان لابد لضمان هذين العنصريين من نشاط منظم مدروس تسيطر على توجيهه جماعة الضباط الأحرار نفسها .

www.anwarsadat.org

4

بدأ التنفيذ العملى للخطة بالتدريج وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا وفى نطاق واسع ، وعلي أساس الصداقة أيضا لكى تبث الأفكار وتحذر الضباط من التأثر تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش، وبالفعل بدأت الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط، وأصبحتا جزء لا يتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الأسلحة، وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة التنظيم قد شملت جميع ضباط الجيش، ولا نسبة كبيرة منهم.. بل كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد، والتى لا يمكن الاعتماد عليها فى أى شىء.. وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين.. رفض تنظيم الضباط الأحرار التعاون معها.. وكانت فى الجيش عناصر انتهازية لم يكن من الصعب تحديدها واتقاء خطرها.

ومثلما كان من المستحيل الوصول إلى السيطرة الكاملة على

جميع ضباط الجيش وعناصره، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالأحداث الجارية فى البلاد.. ولكن المبدأ الذى اتفقت عليه جماعة الضباط الأحرار منذ البدء هو ألا يؤدى هذا التأثر إلى أى عمل فردى.. ومن تأثر الضباط بالمتغيرات الجارية عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا لا يحتمل أى لبس، وكان من أهم المتغيرات التى حدثت هى حرب فلسطين. لذلك فقد حان الوقت للقيام بعمل حاسم حتى لا يتحول الزمن إلى عامل مضاد لحركة الضباط الأحرار... وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر وحكامهم... ولم تكن المنشورات ذات لهجة حماسية جوفاء بل تحددت فيها أهداف الشعب بوضوح وبأسلوب علمى.

لم يتحدد فى المنشورات مطلب للجيش أو لضباطه وجنوده.. كانت كل كلمة مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد... فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ويرفض الممارسة الحزبية القائمة ويطلب القضاء على المستعمر وأذنابه ورفض الأحلاف العسكرية والدفاع المشترك.. وقد طبع تنظيم الضباط الأحرار مئات المنشورات لتأييد وجهة نظر الشعب، ومضى كل أعضاء التنظيم يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لاندلاع الثورة الشعبية.

5

أقبلت الأحداث والمتغيرات لدفع عجلة التاريخ بسرعة، فقام الضباط الأحرار بواجبهم الوطنى فى عمليات الفدائيين فى منطقة القناة خلال عام 1951، 1952 برغم إرادة الاستعمار، القصر، والحكومة.. وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات ثورية داخل الجيش أكثر مما قدرت الهيئة التأسيسة للحركة.. وقد أصبح فى ص وحدة من الوحدات العسكرية أفراد منضمون لتنظيم الضباط الأحرار.. ونجحت الفكرة إلى حد كبير، بينما الأمور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير.. فقد وقع حريق القاهرة فى يناير عام 1952، واجتمع تنظيم الضباط الأحرار لتغير الخطة كلها حتى تتلاءم مع الظروف الجديدة الطارئة، وكانوا قد قدروا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى لكن ذلك الحدث الضخم كان نذيرا لكل التنظيم بالإسراع فى تنفيذ الخطة الجديدة.. وبالفعل اجتمعت الهيئة التأسيسية للتنظيم وقررت تقديم موعد قيام الثورة بدلا من 1955 إلى 1952.

فى أثناء حريق القاهرة صدرت الأوامر لجميع الضباط الأحـرار فـى القـاهرة بمقاومة أعمال التخريب لان القصر والاستعمار وأعوانهما سيمضون فـى ضـرب الحركة الوطنية بكل وسيلة ولا سبيل إلى مقاومة هؤلاء الأعداء إلا بثـورة، ولكـن ليس بالتخريب أو الخطب الرنانة، فقد كانت الثورة عملا علميا مدروسا من الطـراز الأول.. ولذلك نجحت.. وكان الهدف الأساسى لها هـو إعـادة الكرامـة للإنسـان المصرى وحقه فى السيطرة على مقدراته.

من أجل هذا الهدف الجليل قضت الثورة على الاستعمار وأعوانه مـن الخونـة، وقضت على الإقطاع وعلى سيطرة رأس المال على الحكـم كمـا طبقـت العدالـة الاجتماعية.. وسعت إلى إقامة جيش وطنى قوى لكن قوته الحقيقية لم تختبر بالفعل إلا فى حرب أكتوبر المجيدة عام 1973.. عندما واجه العدو لأول مرة وجها لوجه.

www.anwarsadat.org

6

كل هذا كان من أجل كرامة الإنسان المصرى .

إذن ما الذى حدث لكى تنحرف الثورة عن مسارها من أجل بناء الإنسان المصرى؟ وهو الانحراف الذى اضطرنى إلى تصحيحه فى 15 مايو 1971- لقد انحرفت الثورة عن مسيرتها عندما صرفت النظر عن طيق المبدأ السادس والأخير من مبادئها، وهو المبدأ الذى ينص على إقامة حياة ديمقراطية سليمة.. وكانت تلك هى القشة التى قسمت ظهر البعير.. وكانت الباب الذى دخلت منه ص السلبيات والنكسات التى بلغت قمتها فى هزيمة يونيو 1967.

لقد نسى الجميع فى الستينات فى-مى التطبيق الاشتراكى المستورد أن مصر تملك من القيم والمثل والتقاليد ما يساعدها على مجاراة روح العصر، بكل تطوره الحضارى، وتحولت الاشتراكية إلى صنم لابد للإنسان المصرى أن يتعبد فى محرابه حتى ولو أدت هذه الطقوس إلى طمس مصريته.. وبدلا من أن تكون المبادئ الاشتراكية فى خدمة الإنسان .. تحول

الإنسان إلى خادم فى بلاطها، لا يجرؤ على المناقشة أو التحليل أو حتى مجرد إبداء الرأى العابر.. وضاعت فى الطريق قيم كثيرة عاشت عليها مصر آلاف السنين.. ضاعت قيم الأيمان.. والكرامة.. والتسامح.. والتفاؤل والحب.. والصداقة.. بينما برزت على السطح قيم غريبة ودخيلة علينا تمثلت فى الالحاد، والحقد.. والصراع.. والتشاؤم وأوشكت ملامح الإنسان المصرى أن تهتز وتتلاشى، وهى الملامح التى عرفها عنه العالم على مر تاريخه الطويل وهذا ما يدفعنى إلى تأصيل هذه الملامح والدعوة إلى ترسيخ هذه القيم، فهى أمانة فى عنق كل مصرى عليه أن يحملها ويؤديها من أجل خيره ومن أجل الحفاظ على كيان مصر لا اليوم فقط ونحن أحياء، بل ومن بعدنا فى الغد القريب والبعيد على السواء.

www.anwarsadat.org

www.anwarsadat.org